بسم الله الرحمان الرحيم و الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على أشرف المرسلين محمد و على آله و صحبه أجمعين و بعد.

فلا يزال أذناب الطواغيت من المرقعين لأعداء الله و المجادلين في آيات الله بغير سلطان أتاهم يبثون في المسلمين السموم التي حيرت الطواغيت و عبيدهم و لم يجدوا دعاة مخلصين يذودون عنهم و يسوغون شرعيتهم كمثل هؤلاء المنافقين، بل هم الدرع الحائل بينهم و بين انقلاب الشعوب الجاهلة عليهم، و من أعظم ما يبثونه من السموم اليوم قولهم "نحن دعاة و لسنا قضاة" يريدون بذلك أن "لا تكفير للكافر" بل دعوة و صبر متناسين بذلك أن سورة الكافرون نزلت في مرحلة الدعوة و الصبر و ورود التكفير فيها أبلغ من وروده في سورة الممتحنة التي نزلت في مرحلة الجهاد و الفتح.

و مما يدعمون به شعارهم المحشو كذبا "دعاة لا قضاة" هو قولهم لأصحاب الدعوة الحقيقيين : من أنتم حتى تكفروا ؟ و بأي صفة أنتم تكفرون ؟

و نحن نرد دعوتهم هذه و نبين إيرادهم الفاسد و القواعد الفاسدة المبنية عليها و التي بثوها بين الجهال ليلبسوا عليهم أمر دينهم و بالله التوفيق.

فاعلم يا طالب الحق أن شرف العبد كله يكمن في تجريد العبودية لله وحده، فكما أن غير الله موصوف بافتقاره التام من جميع الوجوه إلى ربه فإن الله موصوف بالكمال المطلق من جميع الوجوه و لأجل ذلك استحق أن يعبد و حده فلا يشرك به شيئا لا في الحكم و التشريع و لا في الشعائر و النسك التعبدية و لا في الولاية و الحب فأهل الإلهة هو الله وحده أما غيره فهو عبد فقير إلى الله من جميع الوجوه بذاته ، فأصل العبد العدم و الله أصل جميع الكمالات و إنما به عرفت و بمقتضاها خلقت الخلائق و شرعت الشرائع و أرسلت الرسل و أنزلت الكتب و قامت سوق الجنة و النار و بمقتضاها تقوم الساعة و يفصل بين أهل الحق و أهل الباطل " لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا (5) وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (6)" ففعاله حق و صفاته حق و هو الحق و إنما الحق به عرف فلا إله غيره.

و من هنا يأتي معنى قولنا :

"فعال الله من كماله و كمال العبد من فعاله" أو **"فعال الله تابعة لأوصافه و أوصاف العباد تابعة لأفعالهم"**

فلا شك أن هؤلاء المنافقين يقرون بكل هذا كما يقر مشركوا العرب بربوبية الله، و مصيبتهم هي مصيبة الأولين، و هي العمل بمقتضاها، فهم يشترطون صفة تقوم بالعبد المكفر باسم الفاعل لتسويغ تكفيره لغيره و هم يسألون المسلمين " بأي صفة أنتم تكفرون؟" و " من أنتم حتى تكفروا ؟" فقد جعل هؤلاء فعال العبد الذي يسألونه من أوصافه، فهل كان العباد يوما يقومون بأفعال لأجل أوصاف قامت بهم أم أن العباد إذا قاموا بأفعال يكتسبون الأوصاف المتعلقة بها؟ ، فليس هذا إلا تشريك مع الله في الأصل الذي يقرونه فيجعلون :

"فعال العبد تابعة لأوصافه و فعال الله تابعة لأوصافه" سواء بسواء.

فأين الفرق و أين قوله تعالى : "ليس كمثله شيء و هو السميع البصير"، ألا يكون لهم نصيب من قوله تعالى : " قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ (96) تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (97) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (98) وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ (99) فَمَا لَنَا مِنْ شَافِعِينَ (100) وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ (101)"

ثم إذا أمعنا النظر في الصفة التي يشترطونها للعبد حتى تكون له أحقية التكفير نجد أنهم يقولون "لستم قضاة" أي لو كنتم قضاة لاعتبر تكفيركم و لو لم يأت المكفر -باسم المفعول- بناقض للإسلام و ما دمتم لستم قضاة فلا حق لكم في التكفير و لو جاء المكفر بالكفر البواح فالعبرة بالصفة القائمة بالمكفر -باسم الفاعل- لا بما جاء به المكفر -باسم المفعول- من النواقض.

فلنتأمل هذه المجاوزة للحد و لنسأل سؤالا هنا محله : ما هو القضاء الذي يكون سابقا للتكفير و يكون لمن فعاله تابعة لأوصافه، أهو الذي بمعنى حكم الشهادة و البيان أم هو الذي بمعنى حكم الوضع و التشريع ؟

فإن الأول ممتنع لأن حكم الشهادة و البيان لا يشترط صفة للعبد سابقة بل تتبعه صفة للحاكم لاحقة و هي إما الصواب أم الخطأ.

أما حكم الوضع و التشريع فهو الذي يكون تابعا لكون المكفر -باسم الفاعل- حاكما أعلى و مشرعا لا راد لقضائه و لا معقب لحكمه.

و هذا و الله لا يكون إلا لله وحده.

فهم يشترطون على العباد صفة من خصائص الإلهية حتى يكفروا أهل الكفر، ذلك بأنهم جعلوا التكفير هو الذي بمعنى القضاء و التشريع لا الذي بمعنى الشهادة و البيان، لذا لم يتمكنوا من تصور المرء داعيا في الوقت

الذي يكفر فيه أهل الكفر لأن الداعي إلى الله عابد له و المشرع مع الله طاغوت أشرك نفسه معه في خصائصه،

و هذا هو داؤهم و هو نفسه دواؤهم.

فقولهم "دعاة لا قضاة" من أصل القول "عباد لا آلهة" فهم جعلوا كل شاهد على غيره بالكفر مدع للألوهية برميه بادعاء أحقية التشريع، و في الوقت نفسه لا تجد لهم نكيرا على من ادعى لنفسه أحقية التشريع، ثم إنهم على هذا الأصل رتبوا شعارهم و أسئلتهم، فمنعوا بذلك اجتماع الدعوة مع التكفير.

فالحق الذي لا عدول عنه أن الدعوة لم تكن يوما مانعا للتكفير و لا العكس بل حتى القاضي الذي يحكم بما أنزل الله لا يكون بحكمه ذاك مشرعا و لا يكون حينئذ إلا عابدا لله عنه متلقيا و لحكمه مبينا و لا يمنعه ذاك أن يكون لله داعيا، و إن كان يمتنع اجتماع الدعوة و التكفير فكيف تكون دعوة الرسل مجتمعة مع تكفيرهم لأقوامهم و كيف تكون دعوة من اتبع نهجهم غير مانعة لتكفير كفار عصرهم، و هل تكفير يهود اليوم و النصارى من باب التشريع أم الشهادة و البيان و أين الفرق بين هذا و ذاك ؟ أجيبونا يا أصحاب الدعوة من غير شهادة على المشركين بالكفر، كيف تدعون للإسلام من تسمونهم "مسلمون" و بأي صفة تحكمون عليهم بالإسلام ؟ و من أنتم حتى تحكموا عليهم بالإسلام ؟ و بشعاركم البراق الذي وضعتموه نسألكم : هل أنتم دعاة أم قضاة حتى حكمتم عليهم بالإسلام ؟ و بأي صفة تسألوننا عما أقحمتم أنفسكم فيه ؟ فهذه بضاعتكم المزجاة قد ردت إليكم.

فاعلم يا طالب الحق، أن نهجهم هذا أخذوه بإرث "تشابهت قلوبهم" ممن خرجوا على علي رضي الله عنه لما اتهموه بإشراك غير الله معه في الحكم في قضية تحكيم الرجال المشهورة، و كذا اتهموه بتبديل حكم الله لما قاتل و لم يسب و لم يغنم، و على هذه الأسس الفاسدة يبنون منهجهم " كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (35)". فليعلموا أننا مخلوقون لله عباد شاهدون لا قضاة مشرعون بل للحق مبينون حتى لا نكون فتنة للذين كفروا بل لنكون أمة وسطا شهداء على الناس و يكون الرسول علينا شهيدا و كوننا عباد شاهدون لا يمنع من أن نكون دعاة للحق مرشدون و لا يتربص بدعوتنا إلا المنافقون، و إن كان إحدانا ممن أشرك بالله فهم أولى بهذا الوصف منا إذ أشركوا العباد مع الله في المعنى الذي هم يقرونه و يقرون أنه لا يكون إلا لله وحده "**فعاله تابعة لأوصافه**" فهدموا أصل دينهم بذلك و رموا غيرهم بدائهم و انسلوا، كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة.

فعلى الأمة اليوم أن تعرف فساد منهجهم و قبح سلوكهم و عور نظرهم فهم أشد على هذه الأمة من الأعور الدجال، فينبغي فضحهم حتى ينكشف نفاقهم عاريا للعامة فلا يفتنوا بهم كما قال تعالى بعد وصفه للمنافقين : " هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4)" و الله أعلم.

وصلى اللهم و سلم على نبينا محمد و على آله و صحبه أجمعين.

عباد شاهدون لا قضاة مشرعون

(تهدى و لا تباع)

إعداد :
أبو الفداء محمد بن إلياس المغربي
عفا الله عنه

- دار التوحيد -